كيف ندعم الأطفال ذوي الإعاقة في مواجهة الأزمات والكوارث

أ.د. م. أحمد عبد الرحيم العمري
أستاذ علم نفس الطفل المساعد
كلية التربية للطفولة المبكرة بجامعة القاهرة - مصر

يشير الدعم النفسي في الكوارث والأزمات إلى الإجراءات التي تتخذ لتقديم المساعدة المعنوية والمساندة النفسية والاجتماعية، التي تتمثل في مشاركة المصاب أوجاعه، ومرافقته في رحلة المعاناة والتخفيف عنه بشتى الطرق، من إظهار التعاطف وتهوين المصيبة، والبحث عن طرق الخروج من الأزمة بأقل خسائر ممكنة.

يختلف الدعم النفسي قليلاً عن مفهوم **«الرعاية الصحية النفسية»** التي تتطلب تدخل معالج متخصص، وبروتوكولات طبية محددة؛ فالدعم النفسي يمكن أن يقدم من خلال متخصص نفسي أو متطوع مدرب على تقديم تلك الخدمات، وكذلك من خلال الرفاق أو المقربين أو الأصدقاء أو غيرهم، ممن يجيدون التأثير في الآخرين ويستطيعون مساعدتهم على التغلب على المحن.

ويعرف المعجم الوسيط **«الأزمة»** Crisis لغوياً بالضيق والشدة، والأزمة هي الشدة والقحط وجمعها «أوازم»، وكما ورد في مختار الصحاح «الأزمة هي الشدة والقحط»، و«المأزم» المضيق، وكل طريق ضيق بين جبلين مأزم، وموضوع الحرب أيضًا مأزم.

كما يعرف **الكارثة** Disaster بكونها نازلة عظيمة وشدة، وجمعها كوارث. ويقال كرثته الكوارث أي أقلقته، وكرثه الأمر أي اشتد عليه وبلغ منه المشقة، فهو كارث.

وتمثل الكارثة لحظة من لحظات الأزمة فهي اللحظة التي يبدأ فيها انفجار الأزمة، ويعد كل منهما نتيجة لعدم مواجهة مشكلة ما أو للإخفاق في إدارة الموقف؛ مما ترتب على ذلك ردود أفعال واستجابات تختلف في النوع والدرجة والاستمرارية.

الصدمات النفسية الناتجة عن تعرض الطفل للأزمات والكوارث

يؤدي التعرض لأزمة ما إلى الإصابة بما يعرف بـ «الصدمة النفسية» التي تتميز بظهور أعراض نفسية وجسمية متعددة، وبخاصة في حالة عدم زوال الضغط الواقع على الطفل. ولعل هذا ما يجعل من التدخل في وقت الأزمة أمراً حيوياً، حيث إنه يساعد على توفير وقاية أولية، والتخفيف من حدة الآثار النفسية إذا ما حدثت لاحقاً.

ويمكن أن تحدث الصدمة النفسية الناتجة عن التعرض للأزمة لكل طفل، وعلى الرغم من أن للفروق الفردية تأثيراً في احتمالات سرعة تشافي الطفل وعبوره موقف الأزمة بسلام أو تعسره وإصابته بالانهيار عقب تعرضه لصدمة أو أزمة ما، وكذا في شكل وتوقيت الاضطرابات، فلا يوجد طفل لديه مناعة مطلقة من احتمالات إصابته بالاضطرابات عند تعرضه للأزمات والكوارث، وبخاصة إذا سبَّبت المواقف المحملة بضغوط نفسية شديدة عبئاً أو حملاً زائداً، ينتج عنه حالة من العجز أو الاضطراب الوظيفي للبناء النفسي للطفل.

وتتوقف شدة تأثر الطفل بالأزمة واستجاباته نحوها بشكل أساسي على إدراكه لمعنى ودلالة الحدث أو الموقف، بناء على ترجمته إلى دلالات الحدث أو الموقف بالنسبة إلى إدراك كل طفل لها على حدة، وهو ما يعرف بالمعالجة النفسية للحدث أو الموقف، وهو ما يفسره بوضوح الإطار النظري السيكولوجي للعلاج العقلاني الانفعالي المتمثل في نظرية الشخصية لـ إلبرت أليس 1993م، الذي ينظر إلى درجة التأثير الانفعالي للموقف أو الحدث في الطفل من خلال طبيعة إدراك الطفل للحدث أو الخبرة (ART)، هذا الإدراك الذي يختلف من حيث درجته وشدته من طفل إلى آخر والمتمثل في النتيجة الانفعالية Emotional Consequence التي يشعر بها الطفل نتيجة تعرضه للموقف ككل، باختلاف أفكار الطفل ومعتقداته (Beliefs) المرتبطة بالحدث. فإذا حدث أن شعر طفل ما بخبرة انفعالية كالصدمة النفسية نتيجة لحادث ما، كالتعرض لزلزال أو إعصار أو المرور بخبرة وفاة شخص قريب على سبيل المثال، فإن حدوث الحادثة المتمثلة في حالة الوفاة، مع أنه يبدو هو السبب في النتيجة الانفعالية المتمثلة

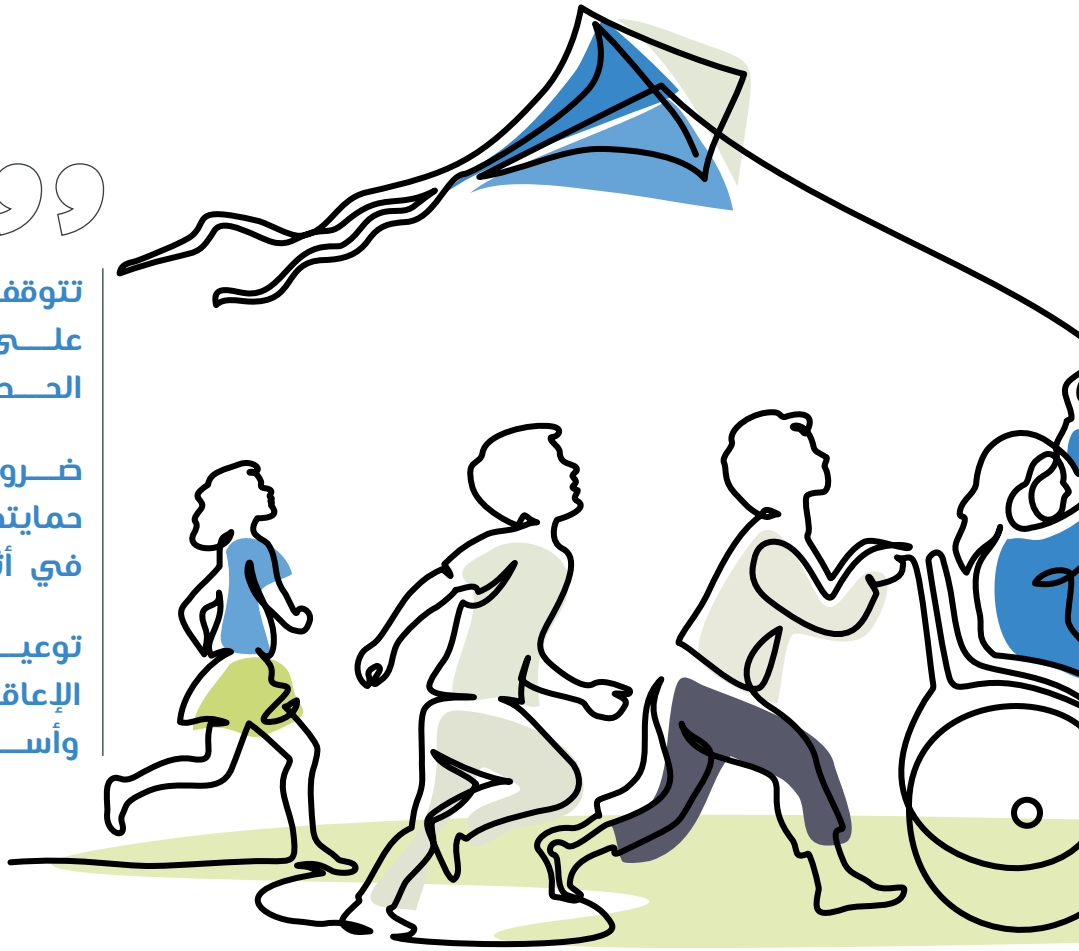

تتوقف شدة تأثر الطفل بالأزمة على إدراكه لمعنى ودلالة الحدث أو الموقف

ضرورة وجود إعداد بيئي يضمن حمايتهم والإجلاء الآمن لهم في أثناء الكوارث

توعية المجتمع بالأطفال ذوي الإعاقة وآداب التعامل معهم وأساليب مساعدتهم

في الصدمة النفسية، فإن الأمر وفقاً لتفسير هذه النظرية ليس كذلك؛ حيث إن النتيجة الانفعالية لمواقف الأزمات قد تختلف من طفل إلى آخر باختلاف طريقة إدراك هذا الطفل وأفكاره ومعتقداته عن هذا الحادث، فقد يرى طفل أن الوفاة راحة للمتوفى الذي عاصره يتألم نتيجة المرض الجسدي، أو أن الوفاة ما هي إلا أمر مؤقت، أو أنه يشبه النوم، في حين قد ينتاب طفل آخر الشعور بالذنب أو المسؤولية تجاه حالة الوفاة، وقد يتوقع طفل آخر أن الموت سوف يصيب الوالدين قريباً وأنه لن يجد من يقوم برعايته. وبالتالي فإن طريقة إدراك الطفل وأفكاره ومعتقداته، وليست الحادثة، هي التي تُعدُّ مسؤولة عن ظهور هذه النتيجة الانفعالية في صورة صدمة نفسية أو تماسك وصلابة نفسية تجاه مواقف الأزمات؛ أي أن الإدراك وخلفه قيم ومعتقدات الطفل هي التي تنتج المعالجة النفسية للأزمة والكارثة التي تعرض لها الطفل.

إشكاليات الأطفال ذوي الإعاقة في مواجهة الأزمات والكوارث

بشكل عام فإن الأطفال في مراحل حياتهم المبكرة يعدون الأكثر تضرراً من وقوع الأزمات والكوارث؛ بما يتسمون به من حساسية شديدة تجاه أي تغيرات تطرأ على حياتهم، فتسبب لهم الارتباك والتشويش وتعزز مشاعر الخوف والقلق؛ بخاصة مع عدم القدرة على التكيف السليم معها. كما يزيد من صعوبة مواجهة الأحداث الصادمة لدى الأطفال ذوي الإعاقة ويلقي بظلال أكثر كثافة على معاناتهم من جراء التعرض للأزمات والكوارث،أمران:

1. الخصائص النمائية لهؤلاء الأطفال وما يعتريها من جوانب ضعف وقصور يختلف باختلاف العجز الذي يعاني منه الطفل ودرجته، كما يأتي:

. فالطفل الذي يعاني قصورًا فكريًّا، يجعله عاجزاً عن الانتباه للإشارات المنذرة للكارثة أو الأزمة والإدراك السليم والكامل للموقف الخطر وأساليب التعامل معه، وعدم القدرة على إيجاد حلول منطقيه وسليمة للمشكلات التي يتعرض لها.

. والطفل العاجز عن التواصل واستقبال الإشارات السمعية والتعليمات الخاصة بالإجلاء والحماية والعاجز عن التواصل من حيث التعبير اللغوي عن

انفعالاتـه ومخاوفـه وحاجاتـه في أثنـاء الكارثـة وبعدهـا.
. والطفـل العاجـز عـن اسـتقبال الإشـارات البصريـة المعبـرة عـن الأزمـة وحجمها وشـدتها والتحديد البصـري لأماكن الحمايـة ومواطن الخطـورة والمنافـذ والطـرق والممـرات الآمنـة للنجاة.
. والطفـل العاجـز عـن ترجمـة الجوانـب الانفعاليـة للأزمـة كمـا تبـدو عـلى وجـوه المحيطيـن وتعكسـها لغة أجسادهم، ويعاني صعوبـات فـي قدرته عـلى التفريغ الوجدانـي والتعبيـر عـن مخاوفـه وانفعالاتـه لفظيـاً أو غيـر لفظياً ولديـه اختـلال فـي مسـتقبلاته الحسـيه للمثيـرات البيئيـة.
. والطفـل الذي يعاني من تشـتت الانتبـاه وعدم القـدرة على مواصلة انتباهـه لفتـرة كافيـة لإدراك الموقـف، ولديـه صعوبـة في نقل انتباهـه عبـر المثيـرات المختلفة في أثنـاء تعرضـه للكارثة.

. والطفل الذي يدرك وضعه الصحي الجسـدي وصعوبـة تجنـب الكثير مـن المخاطر الناجمة عـن الكوارث كالـزلازل والحـروب والفيضانـات، على الرغم من وعيـه وإدراكه لتلك المخاطر لعجـزه الحركي.
جميعهـا حـالات تشـير إلـى الصعوبـات التي تقابل ذوي الإعاقة ومـا يترتـب عليهـا مـن تفاقـم الأزمـات والاضطرابـات النفسـية التـي يتوقـع إصابتهـم بها.
2. وهـو أمر يزيـد مـن معاناتهم، ويتمثـل فـي **العـبء النفسـي** الواقـع عـلى الشـخص الراشـد المنـوط بـه تأميـن حيـاة الطفل ودعمه وإرشـاده وتوجيهه في ظل كونه طفـلاً معاقاً؛ ما قد يتسـبب فـي تعطيـل قدراته عـلى الإدراك الصحيـح والتصـرف المناسـب في أثنـاء الأزمة.
وهو مـا يوضح مـدى المعاناة التي يتعـرض لها الأطفـال ذوو الإعاقة عنـد مرورهـم بمواقـف الأزمـات والكـوارث، وهو ما يجـب أن يؤخذ بعيـن الاعتبار عند وضـع وتخطيط برامـج الحمايـة والدعـم اللازمـة لهم .

إجـــراءات الدعم النفسـي والحمايـة لـــذوي الإعاقـة لمواجهة الأزمـات والكوارث:

فـي ضـوء مـا سـبق يتضـح لنـا بعـض الاحتياجـــات اللازمـة لتضمينها وتفعيلهـا إجرائيًّا ببرامج الحمايـة والدعـم التـي تضعهـا الدولـة بالتعـاون مع مؤسسـاتها المختلفـة ومنظمـات المجتمـع المدني؛ لضمان السـلامة النفسية والاجتماعيـة والحمايـة لأطفالنـا مـن ذوي الإعاقـة عنـد تعرضهـم للأزمـــات والكوارث، وتتمثـل فـي :
. إعـداد بيئـي يضمـن حمايتهـم ويؤمـن مؤشـرات الإجـلاء الآمن لهـم فـي أثنـاء وقـوع الكـوارث.
. تدريـب كـوادر متخصصة تشـمل العامليـن معهـم والمحيطين بهم من أهـل وجيران وأفـراد المجتمع المحلـي مـن المتطوعيـــن عـلى أسـاليب التعامل والتواصل معهم باختـلاف أنواعهـم، وعـلى طـرق تقديم الدعم والمسـاندة النفسية المناســبة لهـم في أسـرع وقت ممـكن .
. إعـداد سـجلات بأعـداد الأطفال ذوي الإعاقة وفئاتهم وأماكـــن سـكنهم وتعليمهـم لســـهولة إمكانيـــــة التواصـل معهـم ومتابعتهـم.
. تفعيـل منتديـات للتواصل معهم وفـق طبيعـة كل فئة منهـم وفي ضـوء احتياجاتهم.
. إنشـاء مراكز ووحدات استشـارة ودعـم متخصصـة ثابتـة ومتنقلة، والإعـلان عـن أماكـن وجودهـا وطـرق الوصـول إليهـا والتواصل معهـا والخدمـات المنوطـة بها.
. التوسـع فـي برامـج التوعيـة المجتمعيـة عـن الأطفـــــال ذوي الإعاقـــــة واحتياجاتهم وطـرق التواصـل معهـم وآداب التعامـــــل معهـم وأسـاليب مسـاعدتهم.
. تضميـــن خطط وإجراءات الأمن والسـلامة بالبرامـــج التعليميـة والتأهيليـه بمـــدارس ومراكـز التربيـــة الخاصة.

. تدريـب الأطفـــال ذوي الإعاقـة أنفسـهم، كل حسـب قدرتـــــه وإمكاناتـه، على العمـل متطوعين لتقديـم خدمـات الدعـم والحماية والمسـاندة لغيرهم مـن الأطفال فـي أثنـــاء فتـــرات الأزمـات والكـوارث.

. وضـع وإعـداد برامـــج وخطط متخصصة وشـاملة للتعامـــل المباشـر والفعـال مـع الأطفـال ذوي الإعاقة فـور التعرض للأزمات والكوارث.

. تضميـــن ذوي الإعاقة أعضاءً في فـرق إعداد خطـط التعامل مع الأزمـات والكـوارث، والأخـذ بعين الاعتبـار لوجهة نظرهـم ورؤيتهم الخاصـة واحتياجاتهـم الفعلية كما يعبرون عنها بأنفسـهم.

إجـــراءات الدعم النفسي والحماية لـذوي الإعاقة لمواجهة الأزمات والكوارث

01
إعداد بيئي يضمن حمايتهم ويؤمن مؤشرات الإجلاء الآمن لهم في أثناء وقوع الكوارث.

02
تدريب كوادر متخصصة تشمل العاملين معهم على أساليب التعامل والتواصل و تقديم الدعم والمساندة النفسية.

03
إعداد سجلات بأعداد الأطفال ذوي الإعاقة وأماكن سكنهم لسهولة التواصل معهم.

04
تفعيل منتديات للتواصل معهم وفق طبيعة كل فئة منهم.

05
إنشاء مراكز ووحدات استشارة متخصصة ثابتة ومتنقلة والإعلان عن أماكن وجودها.

06
التوسع في برامج التوعية المجتمعيـــة عن الأطفال ذوي الإعاقة واحتياجاتهم.

07
تدريب الأطفال ذوي الإعاقة أنفسهم، على العمل متطوعين.

08
تضمين خطط وإجراءات الأمن والسلامة بالبرامج التعليمية والتأهيليه بمدارس ومراكز التربية الخاصة.

09
إعداد برامج وخطط للتعامل الفعال مع الأطفال ذوي الإعاقة فور التعرض للأزمات والكوارث.

10
تضمين ذوي الإعاقة أعضاءً في فرق إعداد خطط التعامل مع الأزمات والكوارث.